وفي التقدير، على الرغم من ان من حق المؤلف اختيار نهج ما في تأليفه وكتابته، فان السبب الاساس لهذا الارتباك ناتج عن غياب منهج واضح اصلاً للكتاب ـ الدراسة، يتضمّن رصداً تاريخياً ـ تحليلياً لتطوّر الظاهرة الصهيونية في الاتحاد السوفياتي، وهو الامر الذي جعل العديد من رجال الفكر السوفيات، حتى قبل يفسييف، امثال يوري ايفانوف وغاليتا نيكيتا وغيرهما، يقفون في وقت مبكر ضد الصهيونية ونشاطاتها شبه السرية في الاتحاد السوفياتي.

وأدّى غياب منهج عام تنتظم فيه مادة الكتاب الى بروز ملاحظات اخرى على الكتاب، منها تداخل الموضوعات، وهو امر يلازم عمومية المادة في مختلف فصول الكتاب، حيث لم يتمّ التركيز، في فصل واحد، على موضوع واحد بعينه؛ اذ تكرر الحديث، مثلاً، عن قرار تقسيم فلسطين، وعن موضوع الاعتراف بالكيان الصهيوني في الفصلين، الاول والخامس، وهذا يعني ان تفاصيل قد تكررت في اكثر من فصل ومكان في الكتاب.

وهناك ملاحظة اخرى تتصل بموضوع المنهج، وهو تقسيم فصول الكتاب، التي جاءت فصوله الثلاثة الاخيرة على الاقل، تحت عنوان فصل واحد هو الفصل الثالث. ومع ذلك، فقد تمّ تقسيمها الى ثلاثة فصول. ولا يبدو هناك اي مبرر منطقي لهذا التقسيم، على الرغم من ان المؤلف لو أراد لاستطاع ان يضع تقسيماً اكثر تناسباً للفصول الثلاثة الاخيرة، وكان من الممكن ان يقوده ذلك نحو تغيير عنوان الكتاب من «الصهيونية في الاتحاد السوفياتي» الى ما هو اقرب الى العنوان الفرعي «يفغيني يفسييف؛ دوره الفكري والسياسي في المواجهة» مثلاً، وهو عنوان، وان بدا اقل اثارة للاهتمام، فهو اكثر تناسباً مع مادة الكتاب. والرجل يستحق منا نحن العرب اكثر من كتاب، ويستحق ان يكتب عنه بحماس، كما كتب هاني مندس. وهذه فضيلة من فضائل الكتاب الهامة. كتاب تناول سيرة كفاح رجل من هذا الزمان، وقف الى جانب الحق والعدل، ودعا الى اعادة العدل الى ميزان العدالة، ولو بالقوة؛ ودفع حياته ثمناً لهذا الموقف.

فايز ساره